المحور الرابع : الاقتباس و الاستشهاد و الإحالات المرجعية

1- الاقتباس و الاستشهاد في البحث العلمي :

كما تعتبر الاستفادة العلمية من التراث المعرفي حقا لكل باحث ،فإن حقوق الباحثين و المؤلفين على أبحاثهم و كتبهم أساسا في البحث العلمي. و لذلك فإنه كان من حق الباحث الاقتباس أو الاستشهاد بأعمال و نتائج الآخرين، فإنه يجب أيضا أن يوثق هذا الاقتباس أو الاستشهاد في نفس البحث بما يسجل لهؤلاء الآخرين حقوقهم في أعمالهم و إنتاجهم العلمي.و لذلك تظهر ضرورة الفصل بين جهد الباحث و جهد الآخرين و تمييزه، وضرورة إسناد الجهود إلى أصحابها بشكل منهجي.

و بصفة عامة يجب أن يتجنب الباحث كثرة الاقتباسات دون مبرر كاف ،و التي قد تحول شكل العرض إلى تجميع أقوال الآخرين (قص و لصق) ، و تخفي بالتالي الجهد المطلوب من الباحث في النقد و التعليق،واستخلاص ما يفيد منها في بناء الأدلة و البراهين أو دعم التفسيرات.

و هناك عدة توصيات في الاقتباس و تسجيله منها:

- يتجنب الباحث الاقتباسات الطويلة، و إذا ما احتاج الباحث إلى هذه الاقتباسات الطويلة فمن الأفضل أن يعيد صياغتها بفكرة في فقرات قصيرة، مع الحفاظ على الفكرة العامة لهذه المواد المقتبسة .
- ليس كل ما سجله الآخرون في مراجعهم من جمل و فقرات ترتفع قيمته إلى حد ضرورة الإسناد و التوثيق، فهناك العديد من الأقوال أو العبارات التي أصبحت بمرور الوقت مكررة لكل من يتناول موضوعات بعينها ، بحيث يمكن القول أن الكل متفق عليها، و بالتالي لا تسند مثل هذه الأقوال إلى حد بعينه ،مثل أن يُقال :"....أننا نعيش عصر الانفجار المعرفي ...أو أننا نعيش عصر السماوات المفتوحة بفضل انتشار الأقمار الصناعية في سماء العالم..." و غيرها من العبارات أو الفقرات التي يصر الباحثون على إسنادها دون حاجة لذلك.
- الحقائق أو الأفكار أو الآراء التي ترتبط بمؤلفين أو باحثين بعينهم ،مثل نتائج البحوث أو التعميمات أو التفسيرات العلمية أو الآراء الفلسفية، يجب ألا يتدخل فيها الباحث بالاختصار أو إعادة الصياغة عند الاقتباس و الاستشهاد.
- تُكتب الفقرات القصيرة المُقتبسة بين علامات تنصيص " ....." و يوضع رقم الهامش أو المرجع أعلى علامة التنصيص الأخيرة.و يفضل أن تنتهي الفقرات أو العبارات المقتبسة بنهاية فقرات النص مع وضع علامة الهامش أو رقم المرجع في نهايتها ، بحيث يكون معروفا أن السطر الجديد سيكون فقرة جديدة و ليس امتدادا للنصوص المقتبسة.
- إذا طالت النصوص المقتبسة إلى عدد من الصفحات فيفضل أن توضع في ملاحق البحث و ليس داخل النص.
- لا يجوز أن يستخدم الباحث نصا مقتبسا بواسطة باحث آخر، فالأفضل الرجوع إلى المرجع الأصلي ، أو تسجيله عن الباحث الآخر،حيث أنه الذي قام بالاقتباس و يتحمل مسؤولية الاقتباس و ما يمكن أن يكون قد قام به من حذف أو تغيير أو صياغة جديدة لهذه النصوص المقتبسة ،و بالتالي لا يجوز أن يقتبس الباحث ما سبق اقتباسه حتى لو سبق ذلك بالقول " نقلا عن فلان ". و يُستثنى من ذلك الوثائق أو المخطوطات التي يصعب على الباحث الحالي الرجوع غليها ، و بالتالي يمكن نقلها عن آخرين قاموا بالجهود الأولى في تسجيلها.

- و في حالة عدم الرجوع إلى المرجع الأصلي لأي سبب، و كانت هناك حاجة ملحة لاقتباس ما سبق اقتباسه أو الاستشهاد به، فيسجل النص المقتبس باسم صاحبه الأصلي و يُشار في المراجع إلى من قام باقتباسه للمرة الأولى.

2- التوثيق و الإسناد المرجعي :

تعتبر الهوامش أو الحواشي أجزاء أساسية و مكملة في البحث نظرا لعدة أسباب منها :

- تستوعب الهوامش الشروح و التفسيرات و الإحالات التي تيسر فهم النص و إدراك محتواه.
- تعتبر متنفسا للباحث يضع فيها آراءه الذاتية، فيما يكون خارج موضوع البحث .
- يمكن أن تستوعب النصوص المقتبسة الطويلة إذا لم يتم ضمها إلى ملاحق البحث.
- تحقق الارتباط بين أجزاء الرسالة بما تحمله من إشارات أو إحالات،أو استعادة لبعض مما سبق عرضه ، أو ما سيأتي عرضه.

طريقة تسجيل الهوامش :

توجد أربع مدارس أساسية في صياغة البحوث و توثيقها و هي :

1- رابطة علماء النفس الأمريكيين American Psychological Association (APA)
2- أسلوب مدرسة شيكاغو.
3- أسلوب تورابيان Turabian Style .
4- رابطة اللغة الحديثة Modern Language Association (MLA) .

و فيما يلي نستعرض هذه المدارس و أهم قواعد التوثيق بها :

أولا : رابطة علماء النفس الأمريكيين APA

تعد هذه المدرسة واحدة من أكثر المدارس شيوعا في عالم التحرير و التوثيق في العالم، حيث يصدر عنها دليل سنوي يضم آخر و أحدث دراسات الرابطة في هذا الصدد.

الاقتباس في المتن :

- في حالة كتابة المرجع يكتب لقب المؤلف، ثم سنة الإصدار بين قوسين .
- في حالة الاقتباس من أكثر من مرجع تتم كتابة المؤلفين بالتوالي بين قوسين و يفصله عن بعض الفاصلة المنقوطة .
- عند الاقتباس من مرجع له أكثر من مؤلف

كيفية كتابة المراجع بأنواعها المختلفة وفقا لأسلوب APA :

في حالة الكتاب ذي المؤلف الواحد :

حسين،سمير.(1991).تطبيقات في مناهج البحث العلمي.القاهرة:عالم الكتب.

و يتم إثباته داخل متن الدراسة على النحو التالي :(حسين ، 1991).

في حالة كتاب له أكثر من مؤلف :

مكاوي،حسن عماد &السيد،ليلى حسين.(2001).الاتصال و نظرياته المعاصرة.القاهرة:الدار المصرية اللبنانية.

و يتم إثباته داخل متن الدراسة على النحو التالي : (مكاوي و السيد،2001).

ثانيا : أسلوب مدرسة شيكاغو

ظهرت الطبعة الأولى من أسلوب مدرسة شيكاغو عام 1906، و قد أصدرتها مدرسة شيكاغو للصحافة ،و في عام 1982 أصبح الاسم الرسمي لهذا الأسلوب من الكتابة The Chicago Manuel Style و هو الاسم الصادر عن الطبعة الثالثة عشرة من هذا الأسلوب. و يقوم الناشرون بتحديث الطبعة و إصدار طبعة جديدة كل عشر سنوات أو أكثر، و ذلك لملاحقة التكنولوجيا الحديثة في جميع مجالات البحث العلمي و لمعرفة كيفية توثيق المصادر الموجودة على مواقع الإنترنت .و يستخدم هذا الأسلوب من الكتابة في بعض العلوم الاجتماعية و معظم المنشورات و المجلات التاريخية.

أسلوب التوثيق في قائمة المراجع :

في حالة كتاب بمؤلف واحد:

عبد الحميد، محمد 2005 .البحث العلمي في تكنولوجيا التعليم.القاهرة:عالم الكتب.

في حالة كتاب له أكثر من مؤلف :

ندا،أيمن و شيماء ذو الفقار.2004.دراسات في نظريات الرأي العام.القاهرة:المدينة برس.

في حالة دراسة أو مقال منشور في دورية علمية :

عمران ،أميمة محمد.2001.دور وسائل الإعلام في مشاركة المرأة في العمل السياسي.المجلة المصرية لبحوث الإعلام 11 .

أسلوب التوثيق في متن البحث :

يتم إثبات المراجع السابقة في متن الدراسة من خلال ذكر لقب المؤلف متبوعا بسنة النشر و رقم الصفحة و يتم وضعها بين قوسين ،مثال : (عبد الحميد 2005، 54).

ثالثا : أسلوب تورابيان

هي إحدى المدارس الحديثة في عالم التوثيق و تعد امتدادا لمدرسة شيكاغو،و يشيع استخدامه في مجالات عديدة .و تتم عملية توثيق مختلف المراجع وفقا لهذا الأسلوب كما يأتي :

أولا : الكتب

- الكتاب ذو المؤلف الواحد :

التوثيق داخل النص :اسم المؤلف و لقبه،اسم الكتاب بخط مائل(بلد النشر:جهة النشر،سنة النشر)، رقم الصفحة.

التوثيق في قائمة المراجع :

اللقب الخاص بالمؤلف ثم الاسم الأول .اسم الكتاب بخط مائل.بلد النشر:جهة النشر،سنة النشر.

- كتاب ذو مؤلفين أو ثلاثة مؤلفين:

التوثيق داخل النص: اسم المؤلف و لقبه و كذلك اسم و لقب المؤلف الثاني اسم الكتاب بخط مائل(بلد النشر:جهة النشر،سنة النشر)،رقم الصفحة.

- كتاب له أكثر من ثلاثة مؤلفين :

التوثيق داخل النص: اسم المؤلف الأول و لقبه ثم نكتب (و آخرون)، اسم الكتاب بخط مائل،(بلد النشر:جهة النشر،سنة النشر)،رقم الصفحة.

- في حالة الدراسات المنشورة بدوريات علمية :

التوثيق داخل النص :اسم المؤلف و لقب الأسرة،اسم الدراسة بين علامات تنصيص .اسم الدورية بخط مائل،رقم المجلد،سنة النشر بين قوسين : رقم الصفحات.

- في حالة مقال منشور بجريدة يومية: ما بين علامات تنصيص نضع اسم العمود : اسم المؤلف و لقبه :اسم المقالة،اسم الجريدة بخط مائل،ثم التاريخ ،ثم رقم الطبعة.
- في حالة مواقع الإنترنت :
- الدراسات المنشورة بالدوريات :

التوثيق داخل النص :

اسم و لقب المؤلف،اسم الدراسة بين علامات تنصيص.اسم الدورية بخط مائل ثم رقم المجلة ثم سنة الكتابة بين قوسين،رقم الصفحة،اسم الموقع بالكامل ثم نضع بين قوسين تاريخ الدخول على الموقع .

التوثيق في قائمة المراجع : يكتب المرجع بالطريقة نفسها التي يكتب بها داخل النص مع وضع اللقب ثم الاسم الأول للمؤلف.

- مقالات منشورة بمجلات :

التوثيق داخل النص : اسم و لقب المؤلف ، اسم المقالة بين علامات تنصيص ،اسم الدورية بخط مائل ثم التاريخ ،اسم الموقع بالكامل ثم نضع بين قوسين تاريخ الدخول للموقع.

رابعا : رابطة اللغة الحديثة MLA

نشأ هذا الأسلوب تحت رعاية رابطة اللغة الحديثة عام 1977 ، و قد تم تبني هذا الأسلوب على نطاق واسع في العديد من الأقسام العلمية و الجامعات ، و يستعمل في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة.

المحور الخامس :الفرق بين المنهج و النظرية و المقاربة و المدخل + حوصلة

1- تعريف المنهج :

تكتسي دراسة المنهج أهمية كبيرة ، فمهما كان موضوع البحث ، فإن قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة.

و يُعرف المنهج العلمي لغة على أنه " الطريق أو المسلك ".

أما اصطلاحا فقد عرف معاني و مفاهيم عديدة ومتعددة ، فقد عرفه محمد البدوي على أنه " مجموعة القواعد التي يستعملها الباحث لتفسير ظاهرة معينة بهدف الوصول إلى الحقيقة العلمية ، أو أنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل و تحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة ".

و حسب بعض المهتمين و العلماء فإن المنهج العلمي هو " جملة المبادئ و القواعد و الإرشادات التي يجب على الباحث اتباعها من بداية البحث إلى نهايته بغية الكشف عن العلاقات العامة و الجوهرية و الضرورية التي تخضع لها الظواهر موضوع الدراسة ".

أما موريس أجرس فيعرف المنهج العلمي بأنه : " عبارة عن جواب لسؤال "كيف؟"نصل إلى الأهداف في حين أن التقنيات تشير إلى الوسيلة التي يتم استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف" .

و خلاصة القول أنه و إن اختلفت استعمالات كلمة منهج في ألفاظها ، إلا أنها تدور في فلك معنى واحد هو الطريقة أو الأسلوب أو الكيفية أو الوسيلة المحددة التي تؤدي إلى الغرض المطلوب أو الغاية المعينة.

2- مفهوم الاقتراب :

من بين المصطلحات القريبة من مصطلح المنهج أو التي تتقاطع جزئيا معه ، فهو عبارة عن استراتيجية عامة أو أسلوب تحليلي يؤخذ كأساس في الدراسة و تحليل الظواهر السياسية أو الإعلامية أو الاجتماعية ، و غالبا ما يُستخدم في تحديد نقاط التركيز في الدراسة ، و في كيفية معالجة الموضوعات أو الاقتراب منها ، و تحديد وحدات التحليل يؤثر بشكل مباشر في اختيار المفاهيم و الاستنتاجات التي يسعى الباحثون إلى التوصل إليها .

و يعف الدكتور محمد الشلبي الاقتراب بأنه : " يُستخدم للإشارة إلى المعايير المستخدمة في انتقاء الأسئلة التي تُطرح و الضوابط التي تضم اختيار موضوعات و معلومات معينة أو استبعادها من نطاق البحث " .

إذن هو " اتجاه أو ميل الباحث إلى اختيار مفاهيمي معين و الاهتمام بدراسة مجموعة محددة من من أجل الوصول إلى صياغة نظرية معينة ، كما أنه يحدد نوعية المفاهيم، الاستفسار و الطرق التي يستعملها الباحث في الدراسة ".

و تنقسم المقاربات إلى عامة و خاصة :

الاقتراب العام : و هو الذي يتعاطى مع الدراسات الاجتماعية في عمومها ، و يتناول عددا كبيرا من الظواهر مثل : الاقتراب السلوكي ، البنائي الوظيفي و تحليل النظم .

أما الخاص : فيتعلق بظواهر خاصة ، مثل ظاهرة القوة ، حيث يمكن تناول ثلاثة اقترابات و هي : اقتراب المناصب ، و اقتراب السمعة و اقتراب صنع القرار.

أما الدكتور عامر مصباح فيعرف الاقتراب بأنه : " الإطار النظري الذي يؤطر البحث ، و يعمل بمثابة المنظار أو المبصار الذي ينظر بواسطته الباحث إلى الظاهرة المبحوثة ، و الأهمية المنهجية للمقاربة النظرية هي المساعدة على تأطير جهد الباحث و تفكيره و حمايته من التشتت ، و فقدان التحكم في أبعاد البحث أو متغيرات الدراسة ".

3- تعريف المدخل و علاقته بالاقتراب :

إن مقولتي المدخل و الاقتراب من القضايا الشائكة كونهما مازالا محل جدل بين الباحثين ، و هناك نوع من عدم الدقة و الاستخدام لهما ، فأحيانا تستخدم كمرادفات و تستخدم أحيانا أخرى بشكل غير موفق إحداهما مكان الأخرى ، لذلك لابد على الوقوف على كل منهما و تحديد التداخل فيما بينهما مع إدراك العلاقة الموجودة بينهما .

تُستخدم المداخل حسب بعض الباحثين للدلالة على الطريقة التي يسلكها الباحث حين يعالج موضوع ما ، أي النقطة التي يبدأ منها تناول الموضوع .و بتعبير آخر أسلوب أو طريقة التناول ، فهي الكيفية التي يتم بواسطتها بحث الظواهر المختلفة .

و يعرف موريس أنجرس المدخل على أنه :" طريقة خاصة غير تقليدية في استعمال النظرية " ، كما يعرفه على أنه :"التصور المنهجي لرؤية الواقع و تناول ظواهره و نظمه و مراجعة الأنساق النظرية المصاغة حوله ".لذلك فالمدخل المنهجي يتحدد في ضوء المبادئ الأساسية و الأسس المنطقية التي يستند عليها الباحث و التي تمثل الإطار المرجعي للمعالجة المنهجية .

و بهذا يمكننا تعريف المدخل المنهجي بأنه " الصيغة النظرية ذات الأسس الاعتقادية و الابستمولوجية و حتى الأيديولوجية و كذا أهدافها الاستراتيجية التي ترشدنا إلى اختيار المنهج الملائم لطبيعة الموضوع و من اختيار الطرق و الأساليب و حتى تحديد الأدوات و الوسائل الملائمة للوصول إلى نتائج عملية في نهاية مسار البحث ".

و هناك تداخل بين مصطلح مدخل و مصطلح مقاربة ، ففي الأول –كما ذُكر- يعبر عن الصيغة النظرية ذات الأسس الفلسفية و المرتكزات الأيديولوجية ، أما المقاربة فيمكن أن تكون صيغة نظرية مستقاة من مجموعة من الأفكار و التجارب الأيديولوجية ، أي أن نجاحها يمكن أن يكون متنوعا و ليس موحدا ، في حين أن المدخل المنهجي يكون مادة ذا اتجاه واحد ، بينما تكون المقاربة على سبيل المثال سوسيوثقافية أو سوسيوتاريخية مقارنة ، و هذا ما يثبت تنوع اتجاهاتها ، كما أنها لا ترتقي أن تكون مدخلا منهجيا ، فهي لا تعدو أن تكون أكثر من طريقة .

4- النظرية :

هي مجموعة مترابطة من المفاهيم و التعريفات و الحقائق التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر و التنبؤ بها .

و يعرفها رالف دارندروف بأنها : " مجموعة قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة غير متحيزة ، لها فاعلية في تفسير و شرح سلوك و تفكير الناس من واقعها الحقيقي ".

كما تُعرف بأنها :" مجموعة احتمالات تعكس بناء العقلية البشرية التي توضح قدرة الإنسان على صياغة قوانين خاصة في التفاعل الاجتماعي المبني على العاطفة و المبرر عقليا".

و هناك من يعرفها بأنها " مجموعة مدمجة من القوانين و الأحكام العامة التي تستطيع تأمين التفسير النظامي لميدان معرفي أو مجموعة ملاحظات أو التي قد تستعمل للتنبؤ بالأحداث أو التي تفرض السلوك الواجب اتباعه".

كما أن النظرية هي أحد الوسائط المعرفية التي يستخدمها الباحث قصد الفهم و التفسير و التوقع ، و تحاول تحديد العلاقة بين المتغيرات لتفسير الظاهرة محل الدراسة .

حوصلة حول المقياس :الجمع بين النوعين " الكمي و الكيفي " في البحث العلمي

لقد انقسم الباحثون و الأكاديميون بخصوص مسألة توظيف منهج علمي واحد في بحث واحد أو عدة مناهج ، بين من يرى بضرورة تنويع المناهج الكمية و الكيفية تبعا لحاجة البحث لهذا المنهج أو ذاك ، و يرون أن تعدد المناهج في بحث واحد تمليه ضرورة البحث ، بينما يرى فريق آخر أن تعدد المناهج في نفس البحث هو مؤشر واضح على غياب المنهج ، لأن المنهج في نظرهم هو بمثابة خارطة طريق البحث يقود الباحث نحو الحقيقة العلمية و حل الإشكال العلمي الذي انطلق منه ، بينما قد ينتج عن تعدد المناهج إخلال بالبراديغم الذي يوجه البحث نحو هذا المعنى ، و ينتج عنه خلط في المفاهيم و البراديغمات ما يفضي إلى إفساد البحث و عدم الإجابة عن الإشكالية التي يؤطرها الموضوع بشكل علمي.(آيت بود،2017)

و في المقابل ، تعد أبرز أسباب دعوات كثير من الباحثين إلى ضرورة الجمع بين مناهج البحث الكمية و الكيفية في دراسة واحدة ، هي لسد الضعف ، و كذا بعض العيوب التي يعاني منها كل منهما ، و عليه فإن المناهج النوعية يمكن أن تساعد على تفسير العلاقات بين المتغيرات ، فضلا عن هذا ، فقد يؤدي توظيف البحوث الكمية و النوعية على حد سواء إلى توفير وسيلة لسد الفجوة بين المستويات الكلية و الجزئية . بمعنى أنه يمكن للبحث الاستفادة من السمات الهيكلية الواسعة النطاق للحياة الاجتماعية، من خلال معالجة الجوانب السلوكية بواسطة البحث النوعي . (بن شويخ،2018)

و لزيادة الإيضاح في المقارنة بين النوعين الكمي و الكيفي في البحث العلمي ، فإن العديد من الباحثين يعتقدون بأن كلا البحثين الكمي و النوعي يكمل بعضه الآخر ، فمن خلال محاولة الدمج بين البحث الكمي و النوعي ، يمكن أن يتوجه الباحث نحو الآتي : (العبد الله ،2016)

- الاستعانة بأداة الاستبيان التي هي من أدوات البحث الكمي إلى جانب المقابلات المعمقة الطويلة و الملاحظات النوعية المستخدمة في البحث النوعي .
- بالإمكان أن تكون البيانات المجمعة رقمية إحصائية ، و كذلك الاستنتاجات هي الأخرى تكون رقمية إحصائية مثل تلك المستخدمة في البحوث الكمية ، و إلى جانب ذلك بالإمكان أن تكون نتائج وصفية إنشائية معمقة أيضا ، كما هو الحال في البحوث النوعية .
- المرونة في دور الباحث و اندماجه كما هو الحال في البحوث النوعية ، إلى جانب الأخذ بالاعتبار الحذر و الابتعاد عن التحيز ، كما هو الحال في البحوث الكمية .

رؤية تقييمية لواقع البحوث الإعلامية و الاتصالية في إطار توظيف المناهج الكمية و الكيفية :

لعل ما يؤخذ على كثير من بحوث الإعلام و الاتصال التي يقدمها الباحثون في مختلف كليات و أقسام الإعلام و الاتصال في العالم العربي بشكل عام ، هو أنها تركز كثيرا على القياس ، أما التحليل و التفكير فيأتي بعده أو يتم إغفاله تماما ، إضافة إلى شبه غياب للبحوث الكيفية .

و في هذا الصدد أيضا ، يرى كثيرون بأن البحوث الإعلامية و الاتصالية في العالم العربي لا تزال بحوثا كمية في أغلبها ، حتى و إن ظهرت محاولات لتطبيق المناهج الكيفية (كتحليل الخطاب) على سبيل المثال ، إلا أنها لا تزال متأثرة تطبيقيا بالمدرسة الإمبريقية ، حيث حاولت عديد الدراسات الجمع بين تحليل الخطاب و تحليل المضمون الكمي بطريقة تعسفية .

و يقدم الأستاذ " الدكتور عبد الرحمن عزي " نظرة نقدية لتحليل المضمون ، باعتباره أداة كمية بالدرجة الأولى ، لأن هذا الأسلوب عادة يتبع التصنيف و الترقيم ، و يتعامل هذا الأسلوب مع النص بوصفه وحدات جزئية مستقلة ، و يُقال في ذلك على أن " وحدة أ " استعملت أكثر من " وحدة ب " أو أن هذه الوحدات وردت بنسبة أكثر من الوحدات الأخرى ، و هذه المقاربة لا تتعامل مع " المعنى" أو الفهم إلا بصفة جزئية في أحسن الحالات . و هذا ما يفقد تحليل المضمون الدلالة النظرية في معالجة الظواهر. فيمكن في حالات القول إن وحدة ما وردت نادرا أو بصفة كبيرة في النص ، إنما يبقى المعنى على الجانب إن لم يأخذ بعين الاعتبار مكانة الوحدة في كل مرة ترد فيها في النص و علاقة النص بالمنظومة القيمية في المجتمع ،و دلالة الرسالة ليست في الملكيات اللسانية التي تعرضها الوسيلة إنما تتجسد في المعاني و

العالم الذي تؤسسه الرسالة . كما أن التعامل مع الألفاظ يتطلب دراسة الشفرة القيمية و الثقافية (code) من جهة و الإلمام بالإطار التاريخي الحضاري لهذه البنيات اللغوية من جهة أخرى .

كما يعتبر الدكتور " يوسف تمار " بأن مسألة التزاوج بين الكمي و الكيفي في تقنية تحليل المضمون لم تتضح بعد أمام الكثيرين الذين يظنون أن الدراسات الكمية و الكيفية في تناقض مستمر ، إلا أن الامر يكون أكثر فائدة علمية عند استعمال النوعين في تفسير الظواهر ، فالتحليل الكيفي يكون أكثر فعالية عندما يعتمد على التحليل الكمي ، مع أن المحلل إذ يعتمد على الإحصاء ، فإنه لا يتخذ منه هدفا في حد ذاته ،بل وسيلة تمكنه من التفسير بدقة ، لذا فإن التزاوج بين التحليل الكمي و التحليل الكيفي في تقنية تحليل المضمون ، يجعلان من كلا التحليلين متكاملين ، إذ أن استعمال الأول يكون الغرض منه التحليل الظاهري للمحتوى محل الدراسة ، و الثاني يختص بالتحليل الباطني له .

و قد أصبح الاتجاه السابق أكثر توجها في استعمال تقنية تحليل المضمون ، و بخاصة في تناول مضامين وسائل الإعلام ، إذ يرى أصحابها أنه من غير جدوى الاعتماد على أحدهما دون الآخر ، في حين أنه يمكن الاستفادة منهما معا ، فالباحث عند استعماله التحليل الكيفي ، يحاول فهم و إعطاء معنى لما يلاحظه و يدركه من خلال الفئات و الوحدات المستعملة ، في السياقات التي أنتج فيها ذلك المضمون ، و التحليل الكمي يقوم صاحبه بمحاولة البرهنة و المراقبة إذ يتعامل مع عالم مجرد و موضوعي من خلال التكميم . و أما المحاولات في هذا التوجه فهي كثيرة ، لكن الأغلبية منها لا تذهب في تحليلها الكيفي إلى ما تم ذكره مسبقا ، إذ معظمها يؤول معطيات التحليل الكمي (الجداول على وجه الخصوص) بطريقة سطحية جدا و دون التوغل في معني الفئات و دلالاتها كما ينبغي ، أي وفق مختلف السياقات التي جاء فيها المحتوى ، و هذا ما يجعل من تلك البحوث لا قيمة لها على الرغم من الجهد و الوقت و التكلفة التي بذلت لتحقيقها .

خلاصة :

نستنتج مما سبق أن مسألة توظيف المنهج في البحوث و الدراسات الإنسانية و الاجتماعية هي مسألة في غاية الأهمية ، نزرا للتزاحم الكبير من قبل الباحثين نحو توظيف الأساليب الكمية الإحصائية التي و إن عبدت الطريق أمام الباحث و سهلت عليه سبل معالجة البيانات بأسرع الطرق و وفرت عليه وقتا و جهدا ، إلا أنها أخذت تساهم بشكل مُريب في إغفال الأساليب الكيفية التي تفيد هي الأخرى في فتح أبعاد مختلفة أمام الباحث للمعالجة و التفسير و التأويل ، و قراءة الظواهر البحثية بسياقاتها التي تنشأ فيها و تتجاذب معها تأثيرا و تأثرا ، بعيدا عن القوالب الجاهزة التي تعيد البحوث إنتاجها كما هي ، فالوصول

إلى نتائج حقيقية و معطيات صادقة لن يتأتى إلى بمحاولة الجمع بين الأساليب الكمية و الكيفية جنبا إلى جنب ، و الممارسة الحقّة للتفكير العلمي في إطار رؤية ثقافية و ممارسة اجتماعية و حضارية شاملة .